انتحـــار

للكاتب الفرنسي جورج سورفير

سان رومانو ! كم هو بلد جميل رائع ! فيه يدرك الإنسان المعنى الذي تنطوي عليه كلمات فلوبير : هناك بقاع في العالم يود المرء لجمالها وروعتها لو يضمها إلى صدره ضمة الوجد والحنين ... بيد أن سان رومانو وأسماءه تشبه أيضا ثمرة فاكهة فواحة لا يجسر امرؤ على تذوقها مخافة الموت الذي يقطر من عصيرها

ولسوء الحظ لا تستطيع مناظرها الساحرة الخلابة أن تدخل السرور والبهجة على قلوب الناس ... ففي جنبات المدينة تقابلك الوجوه القاتمة والملامح اليائسة والعيون الحيرى الآسفة ... وفي كل مكان منها تطالعك كلمات السخط والتبرم : ألا ليتني وضعت على رقم ٧ ! ... آه من هذا الأحمر الملعون ، لقد كسب عشر مرات متوالية ، وبالرقم من ذلك وضعت على الأسود

ولم يكن في البلد كله من يلقي أدنى التفاتة إلى المناظر الساحرة الأخاذة التي تنبض فيه . كانت الأرض عندهم «روليت» ضخمة ، والسماء صفحة كتب عليها أرقام ٣٠ و٤٠ و٥٠

وقد كنت أنا أيضا ضحية هذا البلد الخطير ؛ إذ خسرت مبلغاً لم يكن جد كبير ، غير أنه كان كل ما أملك . وأفقت من نوبة ذات صباح كيلا أجد معي سوى اثني عشر فرنكا مع أني مدين لصاحب المنزل الذي أقيم فيه بخمسة عشر فرنكا ؛ ولذلك اخترت مسدسي فألفيته يزخر بست رصاصات قواتل كانت في غنى كافية لتمزيق رأس فارغ كرأسي

وفتحت نافذتي . كان « صباحي الأخير » رائعا جميلا .. فالسماء زرقاء صافية ، والأمواج خضراء هادئة ، والنسيم يعبق بشذى زهر البرتقال والبنفسج

وغادرت المنزل إلى الشاطئ لأملأ صدري المتفعل بهذا النسيم النقي الفواح ... بيد أني كررت عائدا بعد أن سرت قليلا ، إذ أحسست جوعا شديدا ، وفي أثناء عودتي ابتعت صحيفة سان رومانو المحلية ، وهي صحيفة مثيرة ، مجللة بالسواد كأنها رسالة حزينة

ورحت أقلب صفحاتها أثناء الطعام فاسترعى نظري عنوان « انتحارات الأسبوع » فجال بخاطري دون أدنى انفعال : « هنا سيعلن خبر موتي أنا الآخر بعد أيام قلائل » بل وددت لو أشكر سلفا محرر هذا الباب الذي سيعلن نعيي في هذه الصحيفة

وعلقت عيناي بخبر انفرد بعلامة الصليب في صدره فقرأت فيه « وجدت بالأمس جثة جوسو جا كوبسن — أمريكي الجنس معلقة في إحدى شجرات النخيل الذي ينمو على الشرفة وقد وجد في جيبه مبلغ ثلاثة آلاف فرنك طبعاً »

جوسو جا كوبسن ! إني أعرفه . بل لقد خسرنا كل نقودنا جنباً إلى جنب . وبالأمس القريب حينما خسر آخر فلس معه رأيته يتنهد في عنف وحسرة ، ثم أمسك بيدي وهزها بحرارة ونظر إلي بحزن ثم ابتسم وقال بصوت خفيض « لقد دمرت ... دمرت تماما ... وداعاً ياصديقي » ... ومن ثم ذهب فشنق نفسه

إذن ، كيف أمكن أن يعثروا في جيبه على ثلاثة آلاف فرنك وماذا تعني بحق الشيطان هذه الكلمة « طبعاً »

ولاح لي قبس كشف لي الأمر وأبان الطريق .. يالي من غبي ! كيف لم أفطن إلى ذلك من قبل .... لقد دس — ولا ريب — أصحاب الكازينو هذا المال في جيبه لتضليل الناس وحملهم على الاعتقاد أن انتحاره لا يرجع ألبتة إلى خسارته بل إلى أسباب شخصية ودوافع نفسية

وعلى ضوء هذا الاكتشاف الفجائي رحت أفكر ! كم باترى يدسون في جيبي إذا حزمت أمري وانتحرت على مقربة من الكازينو ! لقد خسرت بقدر ما خسر جا كوبسن ... وسربت إلى رأسي فكرة بأسرع مما كان مقدراً أن تسرب الرصاصة

ثم واصلت تناول الطعام بقلب ثابت أو يكاد يكون ثابتاً ؛ وذهبت بعدئذ إلى صاحب الفندق وأكدت له أني سأدفع له حسابه في المساء ثم أضفت :

هذا إذا بقيت حيا ..

— إنا نثق فيك كل الثقة ياسيدي

— إذن فأقرضني مائة فرنك حتى المساء ... إني أنتظر

وصول مال من باريس

— بكل سرور ياسيدى

وقضيت سحابة النهار على الشاطئ حيث وضعت — بروية وإمعان — خطة السير فى انتحار يعود على بريح وفير

وفى مساء هذا اليوم بعينه ذهبت إلى الكازينو مرتديا أجمل أثوابى وقد أبنت للملإ أنى جئت أجازف بآخر ما بقى لى ... وأنى سأموت هما وغما إن لم أربح

وطارت الثائة فرنك ... فبدا على الانزعاج فى بادئ الأمر.. ثم لتقلبت أعمل غاضبا حنقا ... وأخيراً بدوت كالقاهل المأخوذ

ورنى لحالى شاب قامت بينى وبينه معرفة ، وسألنى ما الخبر فأنبأته بنبرات حزينة يائسة أنى أفلست، فأخذ يواسينى ويخفف عنى ثم قال :

— لا تيأس فما زالت تملك نفقات السفر إلى وطنك . إن الكازينو — فى هذه الحال — يتطوع بـ ... فقاطعته ببأس قائلا :

إن السفر الذى أزمعه لا يحتاج إلى « تذكرة » فنظر إلى مشدوها وقال :

لا أحسبك جادا فى هذا القول ... أمل ألا تكون قد جننت

فظللت صامتاً ، ثم أدرت له ظهرى ورحت أجيل بصرى ذاهلا فى أرجاء المكان بضع دقائق .. وقد لمحت أصحاب « الكازينو » يراقبوننى من طرف خفى .وانفرط عقد اللاعبين فى الساعة الحادية عشرة ، فتقوت أثر الخارجين يوجه يحمل علائم الذهول واليأس والتفكير

وكانت الليلة رائعة جميلة والقمر بدرا يلقى بأشعته الفضية الناعمة على الأرض الشجراء والبحر الأزرق الساكن . وبلغ سمعى أصوات كأن حنون ينوح نوح عاشقة يائسة وجملت وجهتى — وقد أجمعت أمرى — حرجا قريباً من الكازينو، بقمة هادئة تعد بحق أصلح مكان لتمثيل الدور الذى لزمته ، وكان ثمة تمثال من الرخام لفتاة من غوانى البحر بدا كأنه يبتسم وأنا أوشك أن أقوم بدورى

ودوت لجأة طلقتان ناريتان ، وسقطت على أحد المقاعد فى وضع مهمل وانتظرت . واقتربت منى أصوات وسقطت على عينى المسبلتين ظلال القبلين

— يا إلهى ! إنه هو ...

— يالمسكين ! لقد قضى على نفسه برصاصتين معاً

وسمعت بعد ذلك أحد أصحاب الكازينو يقول :

— هلم ... أسرع قبل أن يرانا أحد . تبا له من شيطان ! أما وجد غير هذا المكان !

ثم انحنى فوق فشعرت كأنما اندس شئ فى جيبى

هنالك ارتعدت ظيلا ... وتأوهت مرتين ، ثم فتحت عينى ببطء شديد ، ونهضت من مضجعى بعناية وحرص ناظراً فى تساؤل وعجب إلى الجمع الحاشد حولى . وفى عدم اكتراث محنق أخذت قبعتى والمسدس الذى كان ما زال يلفظ الدخان من فوهته وانتصبت واقفاً

وكان المحتشدون ينظرون إلى كأنى حيوان غريب الخلقة وقد امتزجت نظراتهم بالعجب والاستفهام ... وقلت فى غضب:

— عجباً لكم ياقوم ! ألا يستطيع المرء قتل نفسه بعيداً عن فضول الناس ؟ لم نسمع بمثل هذا والله

واقترب منى أحد أصحاب الكازينو ينتفض من شدة الغضب وقال فى تلعثم واضطراب :

— سيدى الفاضل ... أرجو ... هل ... إذا ... ماذا تقصد بهذه المهزلة ؟ سأقودك إلى البوليس لتعكيرك الأمن

— لتعكيرى الأمن ؟ قول ظريف سيغدو ولا مراء حديث الموسم

قلت ذلك ثم أوليت الجمع ظهرى وانخنست سبيلى ضاحكا من هؤلاء الناس الذين اجتمعوا بدافع الفضول وحب الاستطلاع

وعدت إلى الفندق فسددت ديونى من الآلاف الثلاثة التى أخذتها مقابل قيامى بدور الانتحار . وقد بذلت إدارة الكازينو أقصى الجهد لاستعادة المال، ولكنى لم أكن قد فكرت قط فى إعادته إذ اعتبرت أن هذا المال من حقى ، وأيقنت فضلا عن ذلك أن ثلاثة آلاف فرنك لا تبدو ثمناً كبيراً لانتحارى

وقد عمدت إلى إقناطهم ببقائى فى سان رومانو بضعة أيام أخر أعيش عيشة الترف والبذخ ثم رحلت بعدها إلى باريس

وقد سمعت أن البلغ الذى دس فى جيبى قد رد إلى الكازينو أضعافا مضاعفة

م . ع